مقدمة الرد على الدارمي

أولاً: نقض الدارمي على بشر المريسي..

تمهيد:

هذا الكتاب طبع مرتين، مرة بتعليق الشيخ حامد الفقي، ومرة بتحقيق الدكتور رشيد الألمعي[1] وهي الطبعة التي أحيل إليها.

وهي في مجلدين، وهذا الكتاب تحدث في موضوعات شتى من أبرزها النزول والحد والعرش والقرآن والحث على طلب الحديث والدفاع عنه والذب عن الصحابة وخاصة أبا هريرة ومعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص! ثم تحدث عن صفة الضحك ونحوها.

وهذا الكتاب يحظى بنصيب وافر من التقدير عند السلفية كما يحظى بنصيب وافر من سوء السمعة عند معارضيهم المعاصرين كالكوثري وتلاميذه وسائر الأشاعرة.

والحق ليس مع من بالغ في الثناء عليه ولا مع من بالغ في ذمه أو تكفير مؤلفه.

[1] وتقديم الشيخ عبد العزيز الراجحي الأستاذ المشارك لكلية أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض.

الكتاب من أفضل ما ألف في هذا الموضوع فهو أفضل من كتاب السنة لعبد الله بن أحمد وأفضل من السنة للبربهاري ونحوها من الكتب التي تتحدث الخصومات بعض الأمور الايمانية التي يسمونها (عقائد) .

الكتاب يمتاز بلغة جيدة وردود قوية على المريسي وغيره من المؤولة أو لنقل من المخالفين للتيار السلفي في القرن الثاني والثالث .

محاسن الكتاب:

ومن الأشياء الجيدة التي يجب أن نشير إليها :

1- حسن عرض قول المخالف (انظر على سبيل المثال 676/2، 691) .
2- إثبات المجاز (239/1) .
3- رد تسلسل الحوادث (162/1) .
4- عدم تكفير الشيعة والقدرية (149/1) .
5- انكاره التأويلات البعيدة التي لا داعي لها ولا ضرورة (672/2) .
6- قوله بالتأويل المعقول أحياناً (695/2) .
7- رده لأحاديث باطلة (725/2) .
8- إنكاره على بشر المريسي وأصحابه أنهم يؤولون الأحاديث الموضوعة تأويلاً أسوأ منها (726/2، 805) .

9- إلزامه لبشر وأصحابه إلزامات صحيحة تفضي إلى الكفر لو قالوا باللازم (735/2) .

10- حله لبعض الإشكالات العالقة في الأذهان، كتفريقه بين البصر في الدنيا والبصر في الآخرة (756/2) .

11- كشفه للتناقض عند بشر المريسي وأصحابه (798/2، 815) .

12- رده لبعض التجسيمات التي يقول بها البعض كصفة الجنب مثلاً (807/2) والاستلقاء (805/2) والفم والجسم واللسان (897/2) .

13- الحضور العقلي في مناقشاته لشبهات المريسي وأصحابه، وهذا الحضور قليل عند كثير من معاصريه من التيار السلفي.

14- روايته كثيراً من الأحاديث والآثار بالأسانيد .

15- اعتداله في نقد أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهم من الأحناف، فلم يكفرهم كما فعل غيره من التيار السلفي في عصره.

16- الاعتراف بما يقوله المخالف من حق (441/2) .

وما ذكرته من الاحالات على سبيل المثال لا الحصر، وكذا ما أذكره من ملحوظات سيكون على سبيل المثال لا الحصر .

لكن الكتاب في الجملة ليس شراً كما يرى الأشاعرة كما أنه لا يبرأ من كثير من العيوب تلك العيوب التي لا ينشط السلفيون المعاصرون لنقدها وردها .

الملحوظات على الكتاب:

أما الملحوظات على الكتاب فهي الملحوظات نفسها الموجودة في كتب العقائد سواءً من كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكذا الآثار، أو التكفير والتبديع، أو التحاكم لأقوال الرجال، أو التجسيم.. الخ.

وبما أن هذا العمل في الأساس الغرض منه بيان الأخطاء حتى يتجنبها طلبة العلم فإنني لن أذكر الملحوظة إلا بذكر شواهد لها حتى يكون القارئ على بينة.

ومن أبرز الملحوظات على كتاب الدارمي (النقض على بشر المريسي) ما يلي:

أولاً: ضعف الإسناد في نسبة الكتاب إلى الدارمي وهذه ملحوظة تستوجب التوقف لحل التناقض في مواقفنا.

ثانياً: كثرة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، وهذا إن جاز التساهل فيها في الزهديات والتواريخ فلا يجوز في العقائد والأحكام، وأغلب هذه الأحاديث والآثار الضعيفة تتضمن التجسيم وتشبيه الله بخلقه، أو على الأقل هذا ما يفهمه كثير من الناس الذين يسمعون هذه الأحاديث والآثار أو يقرؤونها.

ثالثاً: التجسيم والتشبيه، ومن ذلك إثبات لله ما لم يثبته الله ولا رسوله، فلو تم الأكتفاء بما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة المشهورة لكان خيراً كثيراً.

رابعاً: التكفير والتبديع بظلم وخطأ وإلزامات باطلة، مع السب والشتم والبذاءة في إطلاق الألفاظ والمعايب.

وهذه تكاد تكون سمة من السمات الكبرى لكتب العقائد، فلا ينجو منها كتاب عقيدة في الغالب.

خامساً: التحاكم لأقوال الرجال وأخذ كثير من الايمانيات والأحكام من أفواههم وعد ذلك من الشرع، وهذا خطأ كبير يشبه القوانين الوضعية.

سادساً: بناء التهم على غير مستند صحيح، كتهمتهم للجعد بن درهم وإسناد القصة الضعيفة جداً، إضافة إلى أننا أقوال الذابح (خالد القسري) ولم نسمع أقوال المذبوح، وهذا يخالف أبسط أسس العدالة الإنسانية.

سابعاً: العنف واستعداء الحكومات على المخالفين، والتحريض على قتل المخالفين لهم في الرأي، حتى ولو كانوا مبطلين فلا يجوز لكل طرف أن يبيح دم الطرف الآخر.

ثامناً: التناقض.

تاسعاً: الأسلوب الخطابي.

عاشراً: تفسير الإجمال والعموم في الآيات بأحاديث وآثار ضعيفة أو موضوعة تفر هذا الإجمال والعموم.

أحد عشر: إخراج الأدلة من سياقاتها.

اثنا عشر: تعميم الدفاع.

ثالث عشر: الدفاع عن بعض الصحابة وإدخال هذا في العقائد مع عدم استحضار الأدلة في ذم سيرتهم.

أسانيد الكتاب ونسبته:

-من الاعتراضات الواردة أن الإسناد، إسناد كتاب السنة فيه رجل مجهول، وعلى هذا فلا يصح نسبة كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ؟

والجواب: وكذلك نقض الدارمي على بشر المريسي في إسناده ثلاثة من المجهولين.

وتصحيح نسبة هذه الكتب تتحملها الجامعات والأقسام العقدية التي أخرجتها وحققتها وصححت نسبتها إلى مؤلفيها .

فكتاب السنة لعبد الله بن أحمد خرج محققاً (رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى) وكتاب الدارمي خرج محققاً (رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود) فالمسؤولية تقع على الجهات التي أخرجت الكتابين ولا تقع علينا .

ثم كثير من كتب أهل العلم تصل إلينا عن طريق مجهولين وهذا لا يضر ولا يضعف الثقة بها وهذا ما عليه جل أهل العلم قديماً وحديثاً .

لكن الملحوظة إن صحت فلا تقع إلا على الجهات التي نشرت الكتابين محققين ثم هذه الكتب قد صاغت كثيراً من العقول وحددت كثيراً من المواقف قديماً وحديثاً، فنحن ننقد أخطاء المضمون